

الذئب و الخروف



الذئب و الخروف

أنس جنان

إهداء :

أهديها لصديقتي الجزائرية : مريم.

أهديها إلى أخي : زكرياء بلاوي.

أهديها لكل من ذاق طعم الخيانة من الأقارب.

تواصل معنا على الواتساب :

0650589138

مرت من امامي،ابتسمت في وجهي مسلمة
علي،فابتسمت في وجهها رادا،انهال على ذاكرتي
فجأة سيل من الذكريات،اختلط فيها الحسن
بالسيء،و الطيب بالخبيث..ذكرياتي معها و الشبه
صديق،صديق خائن عاشرته منذ صغري،نظرا
لحسن نيّتي،او نسميها سذاجتي،كنت افضي اليه
بجل اسراري،حتى اني كنت احكي له ما يمر داخل
بيتنا!!لكنه استغل سذاجتي و مكر بي،استغل
خروفيتي ليستذئب معي،حدث كل هذا قبل
سنتين.

القصة:اولا،هذه المارة،اسمها"سلمى"،فتاة
تصغرني سنا،ليس كثيرا ربما بسنة او سنة نصف
تقديرا،نتشارك نفس الحي الا اننا نختلف في
الازقة،كانت تحضر دوما لزقاقنا عند بنت جارتنا
التي هي صديقتها،اراها دوما لكن لم اكن اعبأ
بها،من يهتم بفتاة مازالت تحب الجري و اللعب؟!و
اخوكم بدأ يقترحهم النضج،المهم..مرة من المرات و
بيننا انا جالس في عتبة الدار،مديرا وجهي للجهة
اليسرى ساه،اذا بي اسمع عن يميني صوت انثوي
بريء يقول :

-أخويا.

ادرت وجهي ناحية الصوت لاجدها هي، الطائشة
التي كانت تلعب قبل قليل، قالت لما رأته اتسائل
بنظراتي :

-اذا كان من الممكن ان تعطيني كأس ماء، من
فضلك.

ابتسمت كعادتي قائلا :

-و(حسنا).

ثم دخلت الدار...خرجت لها بكأس الماء، أتت عليه
دفعة واحدة حتى تقاطر على اسفل
شفتيها، شكرتني مبتسمة ابتسامة ملؤها البراءة و
الامتنان، عفوت عن شكرها، انصرفت تكمل لعبها
غير باخلة على شفتاها بمسحة بيدها، انصرفت
للمطبخ اضع الكأس مكانه، ثم عدت لعتبة الدار
حتى جاء صديقي، و اخذنا في التسكع كعادتنا كل
ليلة.

دخلت البيت متأخرا، منهكا، رجلاي لم اعد
احسهما، جلنا سطات كلها اليوم، غسلت رجلي
المتسختين، ثم رحنا للسرير الذي كان ينتظر

قدومي، اتكأت فاحسست الراحة تسري في
اعضائي و لم يبق الا النوم ليأخذني الى الراحة
الكبرى، اغمضت عيني و اخذت استحضر ما مر بي
في يومي هذا حتى يسهل نومي، ليس من اجل
النوم فقط و انما اجد لذة في التجول بين
خيالاتي، اقتات على الذكريات و التصورات و
الخيالات وسط الظلام و الغموض و الراحة... اول
صورة خطرت ببالي صورتها، اقصد "سلمى"
طبعا، تذكرت موقفي معها قبل ساعات، تذكرت
ابتسامتها، طريقة كلامها، و نظرتها، فتحت عيني و
انا اسبح في ذاكرتي.

تذكرت ما قاله والدي باعتباره كان سباحا منقذا
في مسبح عمومي و كان حارسه في نفس
الآن، قال لي ذات يوم:

-لما كان يخلو المسبح من الناس، و تشتغل
المصابيح المتصلة بالاعمدة الكهربائية داخل
المسبح و التي كان اثرها في حلقة الليل كثر
الشمس في الصباح، اظل اسبح الليل كله، حتى
الفجر، اغطس فألمح احيانا بعض الريالات التي
تسقط من السابحين، مرة وجدت عشرة دراهم و

مرة وجدت اربعة رياللات، و مرة درهم، لا احصيهم
كثير.

هذا ما حدث معي،اخذت اغوص في خيالي كما
كان يغوص والدي في المسبح،ابحث فيه عن
صورتها، و ابحت عن صوراً لا ادري اين اجدها، صور
غير حقيقة،صوري معها و انا ارافقها الى مكان
ما،لا ادري هذا المكان لانه غير واضح فقط اسمه
مكان،قد يكون حديقة ليس فيها صعالিকা،ينغصون
علينا جلستنا،قد يكون مقهى ليس فيها شراب
حشيش يؤذوننا،قد يكون مكان غير كائن على
الارض،تبادر الى ذهني سؤال حينها:هل هذا
اعجاب او حب؟ام فقط نضجي الحديث؟و الحب و
الاعجاب الآن لم يعد بينهما فرق،لا اعلم لماذا،فقط
هكذا افهم،لعل هذا نضجي الزائد،اغمضت عيني
فاجترني النوم.

استيقظت صباحا،امضيت يومي كعادتي في
البيت بين اكل و مشاهدة تلفاز و لعب في
الهاتف...الى ان جاء الليل،خرجت الى عتبة الدار
ثانية،اخرجت من جيبي هاتفي الصغير،ولجت
فايسبوك اتصفحه بحماس،انتظر حضور سلمى

عند صديقتها كدأبها، فاذا بي اسمعها تصيح على
بنت الجيران، التفتت صوبها، التفتت
صوبي، ابتسمت في وجهها ردت ذلك، ثم واصلت
الصياح وواصلت التصفح، و بين الفينة و الاخرى
انظر اليها باعجاب... جاء صديقي، جلس حذائي
لحظتها، قلت له بتستر :

-انظر... تلك الفتاة التي تصيح، صرت احبها مؤخرا.
من هنا تغير الصديق الى شبه صديق، خائن
ماكر، ذئب يعاشر خروفا، تمنيت لو رجع بي الزمن
الى ذلك اليوم فلا اقول له ذلك، كل ذي نعمة
محسود كما قال رسولنا صلى الله عليه و
سلم، ووصى بالكتمان لكني كنت ساذجا حينها، قال
الذئب بمكر مطلي بطلاء البراءة :
-هاي هاي!! لقد عرفت ماذا تحب.

لم ابصر في كلامه مكر، اخذت احكي له عن
موقفي معها البارحة و اني سوف اتقدم اليها
لاصارحها بانني احبها، ستصبح لدي انا ايضا
حبيبة، اخرج معها و ادافع عنها و اغار عليها و
انصحها و هكذا... الخروف يتكلم و الذئب يفكر
فيها، لا ادري أ نزل الحب عليه من السماء بغتة لما

قال الخروف له انه يحبها؟ هكذا بعض الناس فما
تحدثه بنعمة من الله اتتك حتى يسعى الى
انتزاعها منك و لو بالفاسوخ و المجامر(السحر).
قال الذئب:

-هل لديك حسابها على فايسبوك؟

قال الخروف :

-للاسف لم اتجراً على محادثتها، و لا يخفى عليك
اني خجول يا صاحبي، لكني ربما ابحت عنه، سأخذه
من عند صديقتها.

قام و اعطاني راحة يده :

-انهض نذهب قرب زقاقهم اذا كانت هناك فأخذ
لك حسابها.

سألته عن كيف سياخذه؟ قال :

-انهض فقط.

مسكت بيده فاجترني، قمت معه الى زقاقها.

بقيت انتظره قرب حانوت، جاءني و في يده ورقة

قال لي :

-ها هو حسابها كتبتة لي.

قلت له :

-ماذا قلت لها؟ هل قلت لها يريدہ من اعطاك
كأس ماء البارحة؟

قال :

-نعم ما اتفقنا عليه،قلته بالحرف .و أضاف :
-قالت لك في صورة بروفايلها طفلة صغيرة تلبس
فستانا ورديا.

رجعنا للعتبة،اخذت هاتفي،ولجت فايسبوك،كتبت
ما في الورقة في مربع البحث عن
الحسابات،وجدت حسابها،نقرت على خانة اضافة
صديق،قال الذئب بجانبني :

-انس،مللنا في هذا القنت(الركن)..هيا نتسكع في
حي الكمال و نرتاح،اما قطع الشيخ فما عاد فيه
شيء.

طاوعته لذلك،و انا اتمنى في خيالي ان تقبل
طلب صداقتي.

رجعت غير متأخرا عكس البارحة،غسلت
رجلي،اخرجت هاتفي من جيبي

مباشرة، فايسبوك، اشعارات،(تم قبول طلب
الصداقة الذي ارسلته ل****)اكتسحتني فرحة،اخيرا
ساتكلم معها،دخلت ابحت عنها في صنف
النشطين،وجدتها نشطة،زادت فرحتي،ارسلت
لها" مساء الخير،سلمى"
ردت" مساء الورد،انت بخير؟"
قلت" بخير، و انت؟"
قالت" ههه بخير،شكرا انس"
ثم ارسلت ملصق قلب،رددت عليها بملصق
الخروف شون يحمل في يديه الورد،ما اخرفني من
الاول.

بقينا نتراسل،اسألها عن لونها المفضل،حيوانها
المفضل،مكانها المفضل، و ما يجاور ذلك من
اسئلة الصغار،رغم اني بدأت انضج مؤخرا،هي لم
تنضج بعد،استنتجت ذلك من لعبها في الزقاق،و
من طريقة كلامها في الرسائل لذلك بقيت معها
على مستواها،و كثيرا ما يقع هذا فالرجل بعقله
ناضجا،احنى الدهر ظهره،تأتي فتاة بسن حفيدته-
هذا لو كان متزوجا-يتعلق بها،فيصير عقله كعقل
عصفور او حمار،يسألها عن ما اكلت في وجبة

الغداء او ما هو حيوانك المفضل- كما سألت انا-
فتقول له بكل انثوية "القط" و تسأله فيقول
مازحا "النمس" فتضحك، يضحك هو، يرسل لها
ملصقا فيه قط يضحك، يضحكها، تقول "الله يخليك
ليا ا عمري" يفرح المسكين و يتباهى بذلك في
عقله، فيظل يردد: "لقد قالت لي عمري، ذكرتني
بالشباب، اعرف اني وان هرمت فان الزين اذا ذهب
بقيت حروفه، صورة بروفايلي لا اظنها لن تجذب
كارينا كابور... " و كل ما يفعلانه بلا جدوى.. بعد ان
احسست برغبتني في النوم- و كنا قد اطلنا
الحديث- استأذنتها

"الآن احسست بالتعب و سوف اذهب لاناام" قالت
"انا ايضا كنت ساقولها لك"

قلت "لم ارغب في ان انهي حديثي معك، تمنيت لو
كلمتك ابد الدهر"
قالت " و انا كذلك"

ارسلت لها ايموجي قلب و قلت
"تصبحين على خير يا سلومة" قالت " و انت كذلك
يا انوس"، نمت.

مرت ايام ليست كثيرة بين حديثنا على فايسبوك و
جلوسي عند عتبة الدار بانتظارها حتى ارى
ابتسامتها فاحيا كل ليلة، ابتسامتها وقودي، كنت اود
ان اتقدم مباشرة لمصارحتها بحبي لها لكنني كنت
خجولا كما قلت، لا استطيع ذلك، ثم انني كنت
اتلافى بعدم وقوفي معها نظرات ابناء الحي لي، و
اشارتهم لي بالبنان "ذاك انس، الذي عهدناه خجولا
ظريفا، اصبح هو كذلك يريد ان يتصاحب" ثم
قهقهات، تظل تتردد في نفسي و ان لم
اسمعها، قهقهات وهمية اكرهها فالعن نفسي
المتهورة حينها، و اتمنى لو بقيت طول حياتي
وحيدا منفردا، لا ينغص علي احدا كرامتي، قرأت-لما
كبرت-خاطرة ل ال باتشينو قال فيها: "الحب
جميل، لكن الكرامة اجمل"، اتفق معه في ما قال.
دخلت فايسبوك ذات ليلة بنية ان اكلم
"سلومتي" كما اعتدت، بعد ان دخلت الدار متعبا
من فرط التسكع مع الذئب و الذي ما عاد ينفك
كل يوم و ليلة ان يذكر اسم سلمى على لسانه و
يحثني بمكر لاتكلم معها مباشرة، صرت قلقا بشأن
ذلك فسلمى صارت كل حديثه و هو يلعب دور

المقرب الذي يريدنا ان نكون معا انا وهي،وجدت في صنف الرسائل رسالة على شكل نص طويل منها،مضمونها ان نبقى اخوة،و انها لا تريد هراء الحب و لا يجب ان افكر فيه ابدا، و طلبت مني ان احذف ما يعتمل داخلي من احاسيس جياشة تجاهها اذا كانت، سألتها-و كانت نشطة حين قرأت رسالتها:-

"لماذا يا سلمى هذا الكلام؟"

هي تكتب و قلبي يرجف،الثواني التي كانت تكتب اثنائهم الرسالة احسستهم الف سنة مما تعدون،ليأتي الرد الجاف:

"اعلم،انا في بادئ الأمر لم اكن افكر في الحب و غير مستعدة ان اعيشه،كنت احسبك صديقا لي منذ اول وهلة،لذلك خفت ان تقول لي يوما انك تحبني او ماشابه،لا اطيق ان اسمع هذا..انا فقط اخبرتك حتى تأخذ هذا على بالك،و السلام. "

غالبت دموعي حتى لا تخرج فتفضحني امام والدي اللذين كانا قربي،تمالكت نفسي بصعوبة،احمر وجهي،قلبي كاد يطير من مكانه من ما سمع و تلقى،اكتفيت بكلمة

"اوكي"

ثم خرجت من فايسبوك و انا افكر..لماذا قالت لي
هكذا؟اعملت شيئا لم يعجبها؟الم اعد اعجبها؟ام
كانت فقط تجاملني؟ام البنات كلهن
هكذا،متعجرفات علينا نحن الاولاد،و لا يقدرن ما
نعيشه تجاههن من لوعة و صباة؟لا لا ربما
وجدت آخرا؟على الارجح وجدت شخصا آخرا..اسئلة
كثيرة ساورتني، قطعتها بالاستماع لاغاني الراي
القديم(قلبي بغاك نتيا و غير نتيا و قلبي حبك نتيا
مكاين حد وراك،و هادي هي الدنيا ولي نبغيه ما
يبغيني...)هكذا يشكي الشاب مامي علي في
السماعات،فكرت
"صدقته يا اخي مامي،احبناهم و ما احبونا!"

أطلت الحديث بلا فائدة حسب ظني،و قد حان
الوقت لانهي هذه التفاهات و اخبركم بما
حصل،لعلكم تتسائلون كما
كنت اتسائل من قبل عن سبب قولها ذاك؟
الجواب:كما عرفته منها بعد مدة،طلب الذئب
صداقتها على فايسبوك-طبعاً لم يقل لي ذلك-و

قام بدعوته للقاء بينهما-انا لم ادعها يوما فكما قلت كنت خجولا لم اود ان انخرج امام الناس-، وافقت على ذلك،اخبرها انه يحبها،ادخل في حديثه معها شيء من الضحك و التفاهة و الصعلكة لتعجب به النعجة المسكينة كما تعجب النعاج الآن بكثير من الذئاب المفتقدة للجدية و الصدق،صارا معا بدون علمي،و كان يحدثها بان تحظرني من حسابها حتى تبقى له وحده ،لما سألته كيف احببتني؟قال:احببتك لما جئت عندك حتى آخذ حسابك لانس،احببتك في ذاك الوقت. اللعنة عليه و عليها و على الوقت الذي جمعني بهما،و الغريب انها ايضا فارقتة لما خانها حسب قولها و ذهب عند اخرى،وقتها لم تعد تحس منه بشيء،فكرت"خانته الآن معي لما اظهرت حقيقته لي"، احبت احدا اسمه"زكرياء"،اللهم بارك،و الآن قد تكون فارقت زكرياء و احبت"عبد الله"ثم فارقتة و احبت "حميد" ثم احبت بعد حميد آلاف الاشخاص،و ربما ملايين او ملايين،و هو قد يكون احب "عزيزة" و خانها ثم احب"الضاوية" و خانها...اللعنة على ما اقول الآن.

نصيحتي، اكنتم نعم الله عليكم، لا تحدث الناس و لا
تشتكي الى احد سوى الله، و لا تطلب العون الا من
الله، و اذا اردت ان تفعل شيئاً فافعله
لوحده، الناس يفسدون كل شيء عليك.
ملاحظة: ابتسامتي في اول القصة كانت صادقة
لم يكن فيها مكر، نسيت كل شيء لما كبرنا، صارت
كاختي، هكذا تنتهي قصة خروف احب نعجة و هي
احبت ذئب.

تمت بحمد الله و عونه.